



لا يمكن أن ينظر إلى الأمر على أنه محض مصادفة، إلا من قبل بعض السذج أو المخدوعين، أما من يتدارك ما يجري لأهل السنة في المنطقة، منذ سنوات طويلة ومتضاعدة مؤخراً، فيرى حرباً مدبرة ومرتبة بشكل منهجي واضح.

ورغم أن عدداً من علماء أهل السنة قد حذروا من ذلك في بدايات الحرب، إلا أنهم تعرضوا لحملة شديدة من جهات عديدة، ركزت على ما أسموه "البعد الطائفي" أو "إلهاء الرأي العام عن المخططات الحقيقية التي تردد بالمنطقة من الغرب"، فإذا بهذا الغرب ينضم إلى الرافضة في حربهم ضد أهل السنة بشكل صريح، ويشن حملة واسعة لتجييهم، وفرض أمر واقع جديد عليهم في منطقة يمثلون فيها الغالبية العظمى.

الأمر لم يبدأ كما يظن البعض مع الحوثيين باليمن، ولا مع حزب الله في لبنان، ولكنه بدأ قبل ذلك بكثير، عندما قامت ثورة الخميني الشيعية في إيران في نهاية السبعينيات من القرن الميلادي الماضي تحت رعاية غربية خلافاً لما يقال.

فقد كان الخميني مقيماً في فرنسا ويمارس أنشطته السياسية بحرية واضحة، وعندما تبين الغرب أن ورقة الشاه قد حرقـت واستنفـدت أغراضـها، دعمـوا ثورة الخمينـي كـمسـمار شـيعـي طـائـفي توـسـعـي في جـسـد الأـمـة السـيـنـيـة، منـ أجلـ أنـ يـمـارـسـواـ منـ خـلـالـهـ عـدـةـ أـهـدـافـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ وـهـامـةـ بـالـنـسـبـةـ لـهـمـ، مـنـهـاـ تـخـوـيـفـ الـدـوـلـ السـيـنـيـةـ وـإـجـبـارـهـاـ عـلـىـ اللـجوـءـ إـلـيـهـمـ لـحـمـاـيـتـهـمـ مـنـ الـعـدـوـ الـجـدـيدـ.

ومن هنا نفهم كيف اندلعت الحرب بين إيران والعراق؛ وكان السلاح الغربي يتتدفق على الطرفين معاً رغم الخلافات الإعلامية العلنية التي كانت تدور وقتها بين طهران والغرب.

ذلك سعى الغرب من خلال زرع جمهورية الخميني في المنطقة، لتخفيض الضغط على "إسرائيل"، وإشغال العرب بعده جديد، لإفساح المجال للكيان المغتصب، للتوسيع وتهجير المزيد من اليهود إليه.

ليس هذا فحسب، إنما وجود قوة جديدة في المنطقة لها أطماع يخدم الغرب الذي يركز في سياساته في مناطق نفوذه ومصالحه على تفجير الصراعات وضرب الأطراف بعضها ببعض، حتى يستغل هذا الاضطراب في بيع المزيد من الأسلحة والعتاد، وتسهيل نشر قواته في حال وجد أن مصالحه في قد تتعرض لخطر مباشر.

لقد منحت أمريكا الضوء الأخضر لنظام صدام حسين في العراق لكي يغزو الكويت عن طريق سفيرتها ببغداد، بعد أن كانت الحرب بين إيران والعراق، والتي استمرت عدة سنوات قد توقفت، وأدى هذا الغزو إلى فتح الباب على مصراعيه للتدخل الأمريكي بقواته لم تعرفها المنطقة من قبل، كما أدى إلى إضعاف العراق تماماً، وتهيج الصراعات بينه وبين دول جواره السنوية التي دعمته في حربه ضد إيران.

وبعد وقت قصير، تم غزو العراق بدعوى وجود أسلحة دمار شامل وبدعم وتسهيل من إيران وطابورها الخامس في العراق، وقام الاحتلال بمحاربة أهل السنة واعتقالهم وتعذيبهم واتهامهم " بالإرهاب" طوال فترة بقائه المكثفة في العراق، بينما مهد التربة للوجود الإيراني في العراق سياسياً عبر تصعيده حلفائه وعسكرياً بغض الطرف عن الميليشيات المسلحة التابعة له، والتي نفذت مجازر واسعة ضد أهل السنة، وأجبرت الآلاف منهم على الهجرة من مناطقهم، وعندما ظن الاحتلال أن الأمر قد استتب للشيعة في العراق غادر البلاد بعد تسليمها لحلفائه الجدد.

وبغض النظر عن داعش، وهل هي صنيعة أمريكية أم حقيقة، فإن انتفاضة أهل السنة على رئيس الوزراء العراقي الطائفي نوري المالكي، أفرزت الغرب وإيران معاً خوفاً من ضياع العراق من بين أيديهما، وهنا جاءت الحملة الأمريكية الجديدة في العراق.

أما في سوريا فالوضع قد يبدو معقداً للوهلة الأولى، فواشنطن تعلن أنها لا تريد بشار الأسد الحليف الرئيسي لإيران، وفي نفس الوقت هي لا تريد للمعارضة أن تنتصر بحجة أن معظمها من "المتطرفين"، ولكن الحقيقة أن الولايات المتحدة ومعها بقية الدول الغربية تأكّدت أنه ليس من المصلحة التضحية بالأسد، على الأقل الآن، ليس حبّاً فيه، ولا من أجل صفقة جديدة مع طهران فقط، ولكن لأنّها لا تضمن البديل القادر ومدى إمكانية التعامل معه.

محاكمة الغرب لطهران بشكل علني زادت في الفترة الأخيرة، ليس على الصعيد الأمريكي وحده، ولكن على الصعيد البريطاني أيضاً، ولم تمانع دوائر سياسية أمريكية من مشاركة إيران في التحالف الأمريكي ضد داعش.

وبديهي أن إيران لن تشارك في تحالف لا يخدم أغراضها، وبقاء النظام الموالي لها في سوريا حتى وإن ذهب رأسه ممثلاً في بشار الأسد - كما يقال الآن في بعض التحليلات - ولا بهم هنا ماذا فعل نظام الأسد بمساعدة الحرس الثوري الإيراني بملاليين السنة ولا كم قتل وعذب واعتقل منهم خلال 3 سنوات وأكثر!

الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل إن حزب الله يقاتل علناً في سوريا دفاعاً عن نظام الأسد، وهو مشارك في الحكومة اللبنانية الحالية والسابقة موجود في البرلمان، ومع ذلك لا تمارس عليه أي ضغوط من قبل الغرب بل يستغل وضعه السياسي في لبنان من أجل مطاردة اللاجئين السوريين وكل من يشتبه في انتتمائه للمعارضة، ويقوم الجيش اللبناني بدعم من ميليشيات حزب الله بذك منازل أهل السنة في طرابلس وعرسال وقبل ذلك في صيدا دون أن توجه له أي انتقادات على الصعيد الدولي ويخرج أهل السنة للصراخ من الاضطهاد دون مجيب!

بل ويخشى الممثل السياسي لهم أن يتكلم عن حجم الاضطهاد الواقع عليهم خشية أن يتهم بالطائفية، أو أن يُغضّب داعميه من الغرب.

وليس بعيداً عن ذلك ما نراه في الواقع اليمني، حيث قامت مليشيات الحوثيين الشيعية باحتلال البلاد، والسيطرة على عدة موانئ وموقع نفطية هامة، واستولت على أسلحة وعتاد وذخائر بكميات كبيرة من مخازن الجيش، وتبيّن أن الحوثيينتمكنوا من اختراق الجيش والسيطرة على عدة فرق هامة بداخله تساعدهم في فرض قبضتهم على المدن والهجوم على منازل ومكاتب الأحزاب السنّية المناوئة لهم.

ليس هذا فحسب، بل تقوم الطائرات الأمريكية بتوفير الغطاء الجوي للحوثيين خلال هجماتهم على القرى والمدن، ومع كل هذا يكتفي المجتمع الدولي بفرض عقوبات هزيلة على قياديين اثنين من الحوثيين مع الاعتراف بشرعيةهم عبر تباحث المبعوث الأممي لليمن جمال بن عمر معهم والنزول على رأيهم بشأن اختيار رئيس الحكومة.

وفي ظل هذا الجور على أهل السنة تتعرض مساجدهم ومدارسهم للمداهمات المستمرة بدعوى مطاردة "التكفيريين"، وهي نفس الكلمة التي يستخدمها أمين عام حزب الله في لبنان حسن نصر الله ليغطي على جرائمه ضد أهل السنة في سوريا ولبنان، بل تستخدمها إيران لكي تصف بها أتباع الإمام محمد بن عبد الوهاب وتهاجم من خلالها المملكة العربية السعودية، وبقية الدول السنّية المناهضة لسياساتها.

لقد انشغل أهل السنة بحروب فيما بينهم، وخلافات لا حصر لها، على قضايا سياسية واقتصادية ونزاعات على الحدود، بينما إيران تقوم بتنفيذ مخططاتها بخطوات ثابتة، وتستخدم كل أوراقها من أجل وضع الغرب في صفها عن طريق تضليل المصالح المشتركة بينهما، وهذا لا يعني ضرورة تطابق المواقف والسياسات، ولكن هي لعبه مرتبطة بقدرة كل طرف على الوصول لما يريد بأقل تكلفة وهذا ما فشلت فيه الدول السنّية حتى الآن رغم عظم إمكانياتها وكثرة عددها.

مقدمة الإسلام

المصادر: